4 جين أوستن

الروائية البريطانية التى لُقبت بأم الرواية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر.

لقبها البعض من الأكاديميين بأنَّها: شكسبير النثر، ويقول عنها سومرست موم : لقد وجدت المرأة نفسها عندما وُلدت جين أوستن.

تتحوَّل الآن رواياتها إلى أفلام ومسلسلات كنوع من الحنين للماضى، كما تدخل رواياتها البرنامج التعليمى البريطانى فى المرحلة الثانوية.

تدهورت صحَّتها فجأة إثر مرض غامض فتوفيت عن عُمْر يناهز 42 عاماً، دون أن تتزوج !!

«كل شىء يمكن أن يحدث، أى شىء يمكن أن يتحمله الإنسان، إلاَّ أن يتزوج بغير حبّ» .

الميلاد وذكريات الطفولة :

ولدت الروائية البريطانية «جين أوستن» Jane Austen فى 16 من ديسمبر عام 1775م فى «ستيفنتون»، وهى قرية من قرى «هامبشير» وكانت أصغر الأبناء السبع، والبنت الثانية.

إن تفاصيل حياة «جين أوستن» يمكن أن تتلخص باختصار شديد، فعائلتها كانت من العائلات العريقة، وهى كغيرها من العائلات العظيمة فى إنجلترا قامت ثروتها على

تجارة الصوف، تلك التى كانت تُعد عماد الصناعة الرئيسة آنذاك . وما إن تجمَّع لديهم المال حتى اشتروا أرضاً كغيرهم من ذوى الشأن .

والدها هو القس «چورج أوستن» راعى إيبارشية «ستيفنتون»، وكان متوسط الحال فأضاف إلى دخله دخلاً آخر بالعمل فى الزراعة وإلقاء الدروس .

كان والدها حنوناً وعطوفاً، وهو على جانب كبير من المعرفة، فكان يُشجع أولاده على القراءة وطلب المعرفة من مصدرها الوحيد فى تلك الأيام : الكتاب. وكان يقرأ لأولاده بصوتٍ عال لتشجيعهم وتثقيفهم، كذلك كان يحثهم على كل عمل ثقافى أو إبداعى، وكان يبث فى نفوسهم احترام العمل الجاد والنجاح؛ لذا فكان أفراد أُسرته قُرَّاء ممتازين للروايات، ولعلَّ الأعمال المبكرة لـ«چين أوستين» تثبت أن قراءاتها قد تعدت نتاج العصر الرومانتيكى إلى عصور سبقته .

لقد أتاح هذا الجو الدافئ، المفعم بحب الثقافة والمعرفة الوقت الكافى لـ«چين» للكتابة ؛ فقد وُجد فى دفاترها الأولى وهى فى الرابعة عشرة مشاهد هزلية وقصص مثيرة تُشير إلى مِزاح ناقد، وساخر، لا يخلو من عبقرية . وقد طوَّرت هذا الجانب فيما بعد .

كانت «چين أوستن» مغرمة بأسرتها وتحبها كثيراً، فقد كان اثنان من إخوتها فى البحرية، وكثيراً ما كانا يتعرضان للخطر، وتُظهر خطاباتها أنَّهما كانا يشغلان كثيراً من تفكيرها .

وفى عام 1801م ترك الأب بيته لابنه الأكبر وارتحل مع زوجته وابنتيه إلى «باث»، وكانت «چين» فى السادسة والعشرين، وأختها «كاسندرا» فى التاسعة والعشرين .

مرحلة التعليم:

عندما بلغت «چين أوستن» السادسة من عمرها أُرسلت مع أختها «كاسندرا» التى، كانت فى التاسعة، إلى مدرسة داخلية فى «اكسفورد» حيث أصيبت كلتاهما بالحمى، ثم

انتقلتا إلى مدرسة «ساوثمين» عام 1792م . وقد وصفت «چين هذه المدرسة بأنَّها ذات تعليم بسيط . وقد استوحت مشاهد من هذه المدرسة فى روايتها «إيما» .

وقد أُعيدت الفتاتان إلى بيت الأسرة بعد غياب دام ثلاث سنوات، وشرعتا فى تلقى العلم على يد والدهن وإخوتهن كما كانت تجرى العادة فى تلك الأيام.

عموماً تلقت «چين أوستن» تعليماً جيداً ومناسباً، وثقفت نفسها ثقافة أهلتها أن تصبح أشهر أديبات أوروبا .

قصص حب فاشلة، وزواج لم يُكتب له النجاح !

قرَّرت «چين أوستن» وأختها «كاسندرا» عدم الزواج إلاَّ إذا تم إنجاز سريع يثنيهما عن عزمهما ذلك، فقد كان لـ «چين » بعض الارتباطات العاطفية فى مسقط رأسها «ستيفنتون»، ولكن لم يحدث أى شىء جدى .

أمَّا أختها «كاسندرا» فكانت قد خطبت لأحد تلامذة أبيها ؛ ولكنه توفى بالحمى الصفراء فى رحلةٍ إلى جزر الهند الغربية .

وقد تحدث «چين» شقيقتها «كاسندرا» فى رسائل لها عن «توم ليفروى» طالب المحاماة الإيرلندى الذى قابلته عندما كانت فى العشرين . تحرق «كاسندرا» الرسائل وتقوم بإتلافها ؛ وذلك لمنع الباحثين من تكوين فكرة كاملة عن الاثنين، لكن البعض يؤكِّد أن أقرباء «ليفروى» تدخلوا ليمنعوا تطور العلاقة مع فتاة «لا تليق بمقامه». قالت «چين» إنَّه كان وسيماً و «جنتلمان» وحلو المعشر، وإنَّها لم تأبه له بتاتاً ؛ لكنَّها أضافت فى اليوم التالى إلى الرسالة نفسها أن «توم» سيرحل للمرَّة الأخيرة : «دموعى تنهمر وأنا أكتب بسبب هذه الفكرة المحزنة» .

ربما كانت مأساتها أنَّها عاشت بين أُناس لا تستطيع الانتماء إليهم ؛ لكنَّها عوضت ذلك بالبحث عن الحب الممزوج بالاستقرار والاحترام لبطلاتها .

وفى عام 1801م وبينما كانت أسرة «چين أوستن» فى رحلةٍ إلى «ديفون» وقعت فى

حب شاب يُدعى «بلاكول»، وقد كان الإعجاب متبادلاً، إلاَّ أنَّه قبل إعلان خطوبتهما توفى ذلك الشاب، وقد حالت هذه التجربة القاسية دون قبولها بشاب آخر تقدَّم لخطبتها، كذلك سببت لها توقفاً مؤقتاً فى إنتاجها الأدبى .

ثم قبلت الزواج من رجل ثرى، ولكن هذا لم يتم؛ فقد نامت «چين » لتصحو فى صباحٍ مبكر، وتهمس فى أذن إحدى بنات أشقائها وهى تقول : «كل شىء يمكن أن يحدث، أى شىء يمكن أن يتحمله الإنسان إلاَّ أن يتزوج بغير حب»!!

عالم «چين أوستن» الروائى :

حاولت «چين أوستن» كتابة القصة وهى فى سن صغيرة، وظلت تكتب طيلة حياتها، نشرت معظم أعمالها الروائية بعد وفاتها .

رواية : دير نورثانجر :

سوزان الفتاة الجميلة التى كانت ضحية فقرها :

كانت أول رواية تقوم بتأليفها «چين أوستن» هى رواية «دير نورثانجر» Northanger Abbey . فى عام 1802م تمكنت من بيعها للناشر «ريتشارد جروسى» فى لندن مقابل مبلغ زهيد، لكن «جروسى» لم يقم بنشرها على الإطلاق. وفى عام 1816م استرد شقيقها «هنرى أوستن» - بعد عناء شديد - تلك الرواية مُقابل رد المبلغ الذى دفعه الناشر . طبعت الرواية ونشرت فى عام 1818م بعد وفاة «چين أوستن» وسُميت لاحقاً باسم بطلتها «سوزان» . ولمَّا كانت روايات «چين أوستن» قد نُشرت بدون ذكر الاسم فلم تكن للناشر «جروسى» أدنى فكرة بأن الكتاب الذى باعه بثمنٍ بخس كان بقلم المؤلِّفة الشهيرة التى كتبت الرواية الناجحة «كبرياء وتحامل».

يتمحور موضوع الرواية حول شخصية «سوزان» تلك الفتاة الجميلة والذكية أيضاً، والتى ظنها أحد الأغنياء أنَّها تمتلك ثروة كبيرة يمكن أن ترثها مستقبلاً ؛ لذا فقد أغدق

عليها من كرمه، على أمل أن تتزوج من ابنه فتؤول الثروة لعائلته، ولمَّا تبيَّن له فقرها وأنَّها لا تمتلك أى ثروة، انقلبت المُعاملة حتى أنَّه طردها من منزله بعنفٍ وقسوة!!

رواية : كبرياء وتحامل :

فى كبرياء وإباء ترفض إليزابيث الزواج بمن أحبته، لأنها لمست فيه الازدراء والتحامل على أهلها !!

ألَّفت «چين أوستن» هذه الرواية، وهى لم تتجاوز الحادية والعشرين من عُمْرها، باسم «الانطباعات الأولى»، والتى سُميت فيما بعد بـ «كبرياء وتحامل».

وقد كتب شقيقها «چورج أوستن» لأحد الناشرين يعرض عليه نشرها على نفقة المؤلِّفة، أو بأى طريقة أُخرى، ولكن الناشر رفض العرض برمته .

روجعت الرواية مرة أُخرى قبل طبعها ونشرها فى عام 1813م، وقد باعت «چين أوستن» حقوق النشر للناشر لقاء مبلغ زهيد .

ارتبط اسم «چين أوستن» بهذه الرواية التى تُعد أشهر أعمالها وأكثرها شعبية وبراعة، وهى تُذكرنا بأعمال القرن الثامن عشر كما يتضح من شخصية مستر كولينز Mr Collins وشخصية ليدى ديبور التى تصورهما كدميتين هائلتين من السخف والتعالى .

الرواية عبارة عن قصة جماعة من الناس ينتمون للطبقة المتوسطة منهمكون فى المجتمع الذى يُحيط بهم . البطلة الرئيسة هى «إليزابيث بينيت» Elizabeth Bennett وهى فتاة طموحة، أبيَّة النفس، ذكية، وقادة الذهن، ذات حيوية ونشاط، أحبَّها شاب غنى، مُعجب بنفسه، يُدعى «فيتزويليام دارسى»، وإذا كانت «إليزابيث» فى البداية تعتبر أن قيمة المرأة لا تنبع منها بل من الرجل الذى تنتمى إليه الزوج، أو الأب، وهى تستسلم لقيم مجتمعها دون تساؤل، وتُحدِّد وصفها مقياساً على والدها : (إذا كان «دارسى» رجلاً محترماً، فأنا ابنة رجل محترم)، تقول ذلك لقريبة «دارسى» التى حاولت

إقناعها بعدم الزواج منه للتفاوت الطبقى بينهما . لكن فى النهاية تُفضل «إليزابيث» البقاء بغير زواج على الزواج من هذا الرجل الذى لمست فيه الازدراء لأهلها وذويها.

ومع أن هذه الرواية تتكلم عن الحب، ففى الوقت نفسه تتكلم أيضاً عن النظرية المعروفة: المكانة الاجتماعية. ويلاحظ أن «چين أوستن» إنما تعكس شخصيتها بشخصية البطلة «إليزابيث» فى الرواية.

رواية : حس وحساسية :

أختان إحداهما على النقيض من الأخرى، الأولى : عاطفية، والثانية عقلانية.

طُبعت رواية «حس وحساسية» Sence and Sencibility فى عام 1811م، وهى أول رواية نشرت للروائية «چين أوستن» . وقد حققت هذه الرواية نجاحاً كافياً مما مهد لأعمال أخرى للكاتبة .

والقصة فى مضمونها تكاد تُمثل هجوماً على العاطفية المُفرطة كمصدر للقصور العاطفى فى الإنسان، وهنا نرى القيم والفضائل تكاد تكون مُعقدة ومتشابكة، والخيال لم يعد على النقيض منهما .

تدور الرواية حول شخصيتين مختلفتين لأختين شقيقتين، إحداهما على شىء من الرعونة، تستجيب لدوافع العاطفة بغير احتكام للعقل، والأخرى هادئة تتحكَّم فى عواطفها وتُحكِّم إدراكها للعقل فى شتى أمورها، تركهما والدهما فى عُسر ؛ فعاشتا مع أقربائهما الأغنياء، حيث نرى أن الأمّ وابنتاها تنتقلان من قصرهم الفخيم الذى يعج بمظاهر الأبهة إلى بيت صغير.

وأساس القصة يتمحور حول المقارنة الدائمة بين هاتين الأختين فى مختلف مواقف الحياة.

رواية : مانسفيلد بارك :

ملهاة تنتهى نهاية سعيدة للغاية، وتنتهى الرواية كذلك بتحقيق العدالة المنشودة.

كان منبع الكوميديا عند «چين أوستن» هو أساس الخلط الذى يحدث فى فكر غير ناضج بين الأدب والحياة، ولهذا تمضى قدمًا فى رواياتها الأخيرة إلى تشريح وفضح حماقات وأوهام البشرية الأكثر طبيعية.

ومع مرور الزمن أصبح فكر «چين أوستن» أكثر جدية كما لو كانت لم تعد قادرة على أن تجد الطيش وخداع النفس واللامسؤولية وافتقار الفرد إلى فهم الذات مُجرَّد أشياء مضحكة . وكلَّما أدركت عواقبها أصبحت موضع ازدرائها بل حتى كراهيتها، وهى تتحكَّم دائماً فى التعبير عن هذا الازدراء وتلك الكراهية وتصورهما بأسلوب ساخر.

ثم أصبحت الكاتبة مهتمة بالعدل، وأصبحت قدرتها على رؤية حقائق الواقع أكثر حدة وعمقاً، وهذا هو ما يجعل لرواية «مانسفيلد بارك» سحرها وروعتها، وهى دراسة لسكن المنزل الذى يحمل هذا الاسم المقر الريفى للسير «تومس برترام» و «بارت» Bart والقيم التى يعيشون وفقاً لها، والعواقب التى تجرها تلك القيم .

والشخصية الرئيسة للرواية هى «فانى بريس» Fanny Price التى تمثل السلوك القويم، قيم «چين أوستن» نفسها . ويشوب وضعها فى أسرة «برترام» الغموض. ولمَّا كانت ابنة أخ ليدن برترام التى تقوم بالوصاية عليها، فهى إذاً القريبة الفقيرة دائمة الإقامة، والتى تمتثل لأوامر ونواهى الجميع، ولا يكترث لها أحد عدا ابن عمها «أدموند» Edmund الابن الثانى لسير «تومس» الذى نُذر للكنيسة، ويصبح قساً قبل نهاية الرواية . و«فانى» هى الوحيدة التى تعارض خطط القيام بتمثيل مسرحية فى متنزه مانسفيلد فى غياب سير «تومس برترام» فى جزر الهند الغربية، ولكنها لا تملك القدرة على الحيلولة دون حدوث ذلك، ولكن مبادئها القويمة فى هذا الصدد كافية فى حد ذاتها لفضح إدعاءات عمتها «نورس» Norris المقيتة، التى تخفى ضعتها وأنانيتها خلف ستار من إظهار اهتمامها الدائم لصالح أطفال سير «تومس برترام» كما أنَّها

تضطهد «فانى» بتذكيرها دائماً بأن وجودها حيث هى موجودة إنما يرجع الفضل فيه لـ «برترام» . ويتمخض قرار تمثيل مسرحية «عهود المحبين» The Lover Nows والاستعدادت التى تُجرى لعرضها، التى تلقى فيها مسز «نورس» بنفسها تماماً، عن العواقب التى تكوِّن أحداث الرواية : إغواء هنرى «كروفورد» لكبرى بنات «برترام» المتزوجة، ووقوع «أدموند» الذى كانت «فاين» تكن له الحب دائماً فى شباك «مارى كروفورد».

وإذا كان «دانتى» Dante يُعرِّف الملهاة بأنَّها : «سلسلة من التعقيدات الناشزة تنتهى نهاية سعيدة»، فإن هذا التعريف ينطبق تماماً على ملهاة «چين أوستن» مانسفيلد بارك»، حيث تنتهى الرواية نهاية سعيدة للغاية، إذ تتزوج «فانى» من «أدموند»، ويفتضح أمر مسز «نورس»، ويقتنع سير «تومس برترام» بقصوره كأب، ويصبح ابنه الأكبر شخصية قوية . لقد تحقق العدل إذاً .

رواية : إيما :

تكتشف بطلة الرواية إيما الحقيقة المؤلمة لنفسها، حيث كانت تعتقد دائماً أنَّها على صواب، بينما فى الواقع كانت على خطأ طوال الوقت!!

كانت رواية «إيما» نموذجاً رائعاً لروايات «چين أوستن» . وقد وظفت خيالها الساحر لكشف ضلال وخداع بطلتها «إيما» .

الرواية كلُّها ساخرة، وهى أعلى قيمة لكافة الملهاة التى كتبتها، وتأخذ منها مكان الصدارة . وقد طبعت ونشرت هذه الرواية فى عام 1816 م.

موضوعها العام كان الزواج، ولكن الرواية مليئة بتعقيدات العلاقات الشخصية، والكشف عن مكنونات النفوس والطبائع البشرية، ولكنها دلت على عبقرية «چين أوستن» المتمكنة من فنها،المستغرقة فيه، المتصارعة مع مشكلاته.

تتبلور الأحداث فى الرواية حول اكتشاف البطلة المؤلم لحقيقة نفسها، وتجريدها التدريجى لنفسها من الوهم، تقول «چين أوسن» فى الفقرة الأولى من الرواية : «كانت إيماوود هاوس Emma Woodhouse رائعة الجمال، بالغة الذكاء، موفورة الثراء، وكانت تنعم بمنزل مريح، وكان يبدو أنَّها تجمع بعضًا من أجمل نعم الوجود، وكانت قد عاشت حتى بلغت الواحدة والعشرين فى العالم دون أن تتعرَّض إلاَّ للقليل جدًّا ممَّا قد يُثير ضيقها أو كدرها . وكانت عيوب وضع إيما، فى الحقيقة، هى قدرتها المفرطة على أن تفعل ما يروق لها، والميل إلى الاعتزاز المفرط بنفسها، كانت هذه هى العيوب التى تهدد بالتقليل من متعها الكثيرة».

كانت «إيما» بالرغم من ثقتها البالغة دائماً فى كونها على حق، إلاَّ أنَّها دائماً كانت على خطأ على نحوٍ يُثير الضيق . ولمَّا كانت قوية الإرادة ومدللة ؛ فهى تعتقد أن من واجبها أن تُعيد العالم إلى نصابه الطبيعى!!.

«إيما» لا تتخذ من «چين فيرفاكس» Jane Fairfax صديقة لها ؛ بالرغم من كونها رفيقتها فى المولد والفكر، وإنما تتخذ «هاريت سميث»، وهى فتاة ودودة، غنية، غامضة النسب . و«إيما» تقنع «هاريت» بأن حبيبها الفلاح، الأكثر منها ذكاء، دونها بكثير ممَّا لا يجعله موافقاً لها، بل تشجعها على التطلُّع إلى القس مستر «ألتون»، لكى تكتشف، وهذا ما يُثير سخطها، أن تشجيعها للقس لصالح صديقتها «هاريت» انتهى به إلى التطلُّع إليها هى!! ثم تتوهم أنَّها هى و «فرانك تشرشل» Frank Churchill المخطوب سرًّا لـ «چين فيرفاكس»، على وشك أن يقعا فى حب بعضهما البعض، وتقرر دونما سند من دليل واقعى أن «چين» تُحب رجلاً متزوجاً، وتسرب هذا الشك فى الحال إلى «تشرشل»، وتشجع، بمُجرَّد أن تدرك أنَّها ليست فى حالة حب معه، «هاريت سميث» على تخيل أنَّها تحبه، ولكن بما أنَّها لا تكشف عن اسمه، فهى تنجح فقط - دون أن تعرف- فى جعل «هاريت» تقع فى حب مستر «نيتلى»، صديق وناصح عائلة «وود هاوس» الذى كان قد أحب «إيما» طويلاً.

وفى سرور «إيما» باكتشاف أنَّها لا تحب «تشرشل»، تلهو معه دون استحياء، ودون أن تلحظ دلائل علاقة «چين » بـ «تشرشل»، وهى دلائل واضحة لمستر «نيتلى»، فتجلب التعاسة لـ «چين » وتكاد تُدمِّر سعادة الاثنين المخطوبين سرًّا!!

فى النهاية تُدرك «إيما» وهى التى أدت بصديقتها «هاريت» إلى الوقوع فى حب مستر «نيتلى»، أنَّها تُحبه وهو أيضاً يحبها !!

سمات وخصائص الإبداع الروائى عند چين أوستن :

فى قصصها ترصد «چين أوستن» العلاقة بين الرجل والمرأة، والتقاط عيوبهم ودوافعهم بسخريتها اللذيذة، وعينها الذكية التى لا عطف فيها .

ومع أنَّها لم تتزوج فإن هذا لم يمنعها من كتابة تلك الروايات عن الزواج والنساء اللواتى يبحثن عن أزواج، كل صديقاتها يردن الزواج ليرفعن من مكانتهن الاجتماعية، وهى ماهرة للغاية فى تدبير الأزواج الأثرياء لبطلاتها .

وقد اهتمت «چين أوستن» بالاستقلال المادى وفرحت به عندما بدأت تكسب المال من كتبها وتوقف اعتمادها المادى على أشقائها ؛ حيث لم يكن تحقيق الكسب ممكناً للنساء فى ذلك الوقت إلاَّ بالزواج، إذ حرمن من وراثة الأب إن كن بلا أشقاء، وفى هذه الحال استحق أقرب قريب للأب الإرث، وعاشت الفتيات إما فى فقر أو تحت تهديده .

وهى تكشف النقاب عن المشكلات الاقتصادية التى كان يُعانيها مجتمعها آنذاك.

و «چين أوستن» ذات نص لاذع ومنساب، تسخر من القواعد الاجتماعية وتقدم أسلوب كتابة متفوق، وقد انتقت أبسط الموضوعات لقصصها، لكنها حين تجرى الحوار أو تحلل الشخصيات تُبدى براعة قلّ أن يكون لها نظير .

رواياتها تتكلم عن الحياة والمشكلات اليومية للطبقة الوسطى، وهكذا، تمضى الكاتبة فى رواياتها جميعاً تصور لنا الفقراء على اختلاف صورهم وهم يخالطون الأغنياء لترينا كيف يفكر الأغنياء وكيف يعيشون.

وهى لا تغضب من شخصياتها، ولكن احتقار السخفاء والأغبياء يسرى دائماً فى مؤلفاتها، وكانت كلَّما تقدَّم بها العُمْر، تجدهم أقل إضحاكاً لأنَّ لهجة الاحتقار تصبح أكثر جفافاً من رواية إلى أُخرى .

أسلوبها فى الكتابة :

لغتها السهلة الممتنعة، وحكاياتها القريبة إلى قصة سندريللا قد تخفيان للوهلة الأولى الفطنة وسرعة البديهة فى نصها الروائى وحواراتها . ولغتها هى التى تجعل نقل قصصها إلى السينما والتلفزيون أمرًا صعبًا، مع أنَّه حدث .

كما يتميَّز أسلوب «چين أوسن» بشىء من السخرية الرفيقة التى لا تفارق قلمها، وقد يأخذ عليها النُّقَّاد أحياناً أنَّها تقسو فى بعض المواضع فى سخريتها تلك .

ثقافة «چين أوستن» :

من الواضح أن «چين أوستن» كانت كاتبة مثقفة، فقد وضع «د. تشابان» قائمة بالكتب التى يُقال أنَّها قرأتها، وهى قائمة كبيرة للغاية، فقد عرفت «وليم شكسبير» جيداً . وقرأت «لوولتر سكوت» و اللورد «بايرون»، ولن يبدو أن شاعرها الأثير إلى قلبها كان «كوبر»، كذلك قرأت للدكتور «جونسون» و «بوزويل»، والكثير من كتب التاريخ .

ونزعم أنَّه بالرغم من أن «چين أوستن» لم يكن لديها علماً بنظريات القصة الخيالية، إلاَّ أنَّها كانت تعرف ما كانت تكتبه جيداً، فالمرء لا يصل إلى الكمال بالسير على غير هدى، حتى لو كان الأمر كذلك، فإن من غير المعقول أن يكون وصول الإنسان إلى الكمال الإبداعى فى أكثر من ستة مؤلفات متتالية من قبيل المصادفة .

«چين أوستن» تُحلق بعيداً عن السياسة :

عاشت «چين أوستن» بعيداً عن الأحداث السياسية التى شهدتها أوروبا خلال

حياتها كقيام الثورة الفرنسية ومعارك «نابليون بونابرت» واحتلاله بعض الدول ثم نهايته فى معركة «واترلو»، فهى لم تهتم بشىء من ذلك رُغم أن أخوين لها وصلا مرتبة «أدميرال» فى البحرية البريطانية . من هنا كان يلومونها لانفصالها الذى لا مبرر له . على أنَّه ينبغى أن نتذكر أن عصرها كان يُنادى بأنَّه لا يصح للنساء أن يشغلن أنفسهن بالسياسة، فقد كان الخوض فيها شأن الرجال وحدهم، ولم يكن النساء يقرأن حتى الصحف، غير أنَّه ليس هناك ما يجعلنا نفترض بأنَّها لم تنفعل بهذه الأحداث لأنَّها لم تكتب عنها .

لقد استغرقت «چين أوستن» فى جو الريف وحياته الاجتماعية بكل تفاصيلها من زيارات وأحداث وتسوق وحب وزواج، وأكثر ما كان يشغلها هو حفلات الرقص حيث المجال رحب للتعارُف واقتناص الأحباب والأزواج، كل ذلك وسط وصف رائع للشخوص مع الكشف عنهم وتبيان أخطائهم وزيفهم .

آراء النُقَّاد والكُتَّاب فى إبداع «چين أوستن» الروائى :

اتفقت معظم الشخصيات البارزة على امتداحها. يقول الأديب الكبير «وولتر سكوت» : «إن هذه الآنسة الشابة چين أوستن لديها موهبة فى وصف دروب الحياة العادية وما تزخر به من مشاعر وشخصيات، وهذا أروع ما صادفنى . إن الطنطنة شىء أستطيع أن أُمارسه مثلما يستطيع أى شخص آخر، أمَّا اللمسة الرقيقة التى تُضفى أهمية على الأشياء والشخصيات العادية بفضل صدق الوصف والمشاعر فشىء لا أستطيعه».

أمَّا «ماكولى» فقد وضعها بين الكُتَّاب الذين يُضاهون أسلوب «وليم شكسبير» و«موليير» وقد قال عنها «سومرست موم» : «لقد وجدت المرأة نفسها عندما ولدت چين أوستن» . ويقول عنها المؤرخ الكبير «مارلاى» : «إنَّها أعظم أدباء إنجلترا بعد «وليم شكسبير» . وقال أيضاً «والتر آلن» : «أصبحت چين أوستن مقياساً ومرجعاً نعود إليها كلَّما أردنا أن نقيم أعمال المؤلِّفين المحدثين» .

وقال عنها البروفسور «سينتبورى» : «إنَّها أم الرواية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر كما كان والتر سكوت أباها» .

أمَّا النُّقَّاد والكُتَّاب الآخرون من «ساذى» (1774 - 1843م) حتى «هنرى جيمس» (1843 - 1916م) فقد امتدحوا أدبها وأعجبوا به .

وبالرغم من هذا فقد تعرضت «چين أستن» لبعض النقد، مثلما جاء على لسان الكاتبة « شارلوت برونتى» التى تشكو من أن «چين أوستن» لم تكن روائية رومانسية مثلها . ورغم أن «چين أوستن» كانت معاصرة قريبة من الشعراء الرومانسيين الأفذاذ، فلم تتأثَّر بالحركة الرومانسية، ولا يعنى هذا جهلها بتأثير الإحساس، أو أنَّها كانت تزدريه، وإنما كان يعنى أنَّها كانت تعتقد أنَّه يجب التحكُّم فيه، وإنه فى كتابتها يجب أن يكون التعبير عقلانيًا .

روايات «چين أوستن» تتحوَّل إلى أفلام ومسلسلات :

تحوَّلت رواية «كبرياء وتحامل» إلى فيلم سينمائى عام 1940م، وعام 2005م، كما عُرض مسلسل «كبرياء وتحامل» فى خريف عام 1995م، واحتفلت الـBBC تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية بأنجح مسلسلاتها فنياً وتجارياً على الإطلاق، حيث استعادت القناة البريطانية تكلفة المسلسل من مبيعات الفيديو وحده قبل انتهاء العرض. لقد زادت مبيعات الرواية والإقبال على زيارة المناطق التى عاشت «چين أوستن» فيها، والقصر الذى تم التصوير فيه .

ربما كان أهم ما فى العودة إلى «چين أوستن» مرَّة بعد أُخرى تحويل أعمالها إلى أفلام ومسلسلات، الحنين إلى الماضى الجميل الذى لا تترك منه سوى جانب مشرق يركز على أن : الحياة رجل وامرأة، وعلى الاثنين الاجتهاد بدلاً من إضاعة الوقت بالكبرياء الزائف .

وإذا كانت تقدس الحب فهى تعتبر الزواج غاية الحب، لكنها تجعله مع ذلك الخاتمة المنشودة وتوحى بأنَّه بداية سعيدة للأبد .

كما تدخل روايات «چين أوستن» البرنامج التعليمى البريطانى فى المرحلة الثانوية، إلاَّ أن رواياتها لا تروق المراهقين لأنَّهم يجدون أن أدبها يلائم الفتيات وحدهن . فهم أقل اهتماماً من الفتيات بتحليل المشاعر وحيل صيد الأزواج والتمييز بين الزيجات الناجحة والفاشلة .

مكانة «چين أوستن» الأدبية :

لن نجد فى عالم النقد ناقداً لرأيه وزن إلاَّ ورأيناه يضع هذه الكاتبة فى الصف الأول بين أصحاب الرواية جميعاً .

وإذا كان«وولتر سكوت» Walter Scott 1771 - 1832م أباً للرواية فى القرن التاسع عشر، فلا شك أن «چين أوستن» أم لها، فكلاهما كان للرواية واضعاً للأسس، مُقيماً للدعائم . فبينما نرى «وولتر سكوت» مَنْ طرق برواياته كل الأبواب الممكنة، ثم مضى فى بعضها إلى حد بعيد من الجودة والإتقان، نرى زميلته «چين أوستن» قد تناولت بنجاح - يوشك ألاَّ يقل عن نجاحه - أبواب الرواية التى لم يمسها «سكوت» إلاَّ مسًّا قليلاً .

لقد حققت «چين أوستن» مع «سكوت» تغييراً جذريًا بلغ مرحلة الوعى فى إنجلترا فى سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر، أولاً فى موقف الروائيين أنفسهم من الرواية، ثم فى موقف النُقَّاد منها، وبالتالى فى موقف عدد متزايد من القُرَّاء ونحن إنما ننظر إلى «چين أوستن» على أنَّها روائية حداثية وهو ما لا يحدث مع «وولتر سكوت»، على هدى هذا التغيير، ويمكن تبيان طبيعة هذا التغيير فى تعليق الناقد «روبرت ليدل» Robert liddell عن «مس كومبتون بيرنت» Miss Compton Burnett فى

مؤلفه «عجالة عن الرواية» A Treatise on the Novel وهو يقول: إن مس «كومبتون» : «تكتب الرواية الخالصة على نحو ما فعلته «چين أوستن «مركزة على الكائنات البشرية والآثار الاستجابية المتبادلة» . الرواية الخالصة، هذا المصطلح الحداثى الذى ما كان لتسمع به «چين أوستن» على الإطلاق !!

الرحيل :

بينما كانت «چين أوستن» فى قمة عطائها بدأت صحتها بالتدهور، فأخذتها أختها «كاستدرا» إلى ونشستر لتبقى تحت رعاية طبيب صديق، ولكنه لم يستطع تشخيص مرضها، فتوفيت بين يدى أختها الحبيبة فى 18 يوليو عام 1817 عن عُمُر يناهز 42 عاماً ودفنت فى كاتدرائية ونشتسر، دون أن تتزوج!!